بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تلخيص كتاب جواهر البلاغة للشيخ السيد الهاشمي رحمه الله تعالى ونفعنا به وبمشايخنا في الدارين آمين

أركان الجملة

المسند
محكوماً به /مُخبراً به

المسند إليه
محكوماً عليه/مُخبرا عنه

إسناد
هو النسبة التي بينهما

مبادى علم المعاني

تعريفه
أصولٌ وقوَاعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مُطابقاً لِمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغَرَضِ الذي سيقَ له.

موضوعه
اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المعاني الثَّواني التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللَّطائف والخصوصيّات، التي بها يُطابقُ مُقتضى الحال.

فائدته
معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصّه الله به من جودة السبَّك، وحُسن الوصف، وبَراعة التَّراكيب ولُطف الإيجاز، الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في مَنثور كلام العرب ومنظومه

واضعه
الشيخ عبد القاهر الجُرجاني رحمه الله تعالى ونفعنا به، المُتوفي سنة 471 هـ.

استمداده
من الكتاب الشَّريف، والحديث النَّبوي، وكلام العرب

تعريف علم المعاني

واعلم أنَّ المعاني جمعُ معنىً؛ وهو في اللغة: المقصود وفي اصطلاح البيانيين - هو التِّعبير باللفظ عمَّا يتَصوَّره الذَهن أو هو الصورة الذهنية، من حيثُ تقصدُ من اللفظ.
واعلم انَّ لكل جملة رُكنينِ؛ مسنداً - ويسمى محكوماً به - أو مُخبراً به ومُسنداً إليه، ويسمى محكوماً عليه - أو مُخبرا عنه. وأمّا النسبة التي بينهما فتُدعى «إسناداً» وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول وحال، وتمييز، ونحوها - فهو قيد زائد على تكوينها - إلاّ صِلَة الموصول، والمضاف إليه.
«والإسناد» انضمامَ كلمةٍ «المُسند» إلى أخرى «المسند إليه» على وَجهٍ يُفيد الحكم بإحداهما على الأخرى: ثُبوتاً - أو نفياً، نحو: الله واحدٌ لا شريك له. ويُسمى المسند - والمسند إليه ركني الجملة، وكل ما عداهما يعتبر قيداً زائداً عليها.

مواضع المسند إليه:

-الفاعلُ «للفعل التّام أو شبهه» نحو «فؤاد - وأبوه» من قولك حضر فؤادٌ العالم أبوه.
-أسماء النَّواسخ: كان وأخواتها، وإنّ وَأخواتها - نحو «المطرُ» من قولك - كان المطر غزيراً، ونحو: إنّ المطرَ غزير.
-المبتدأ الذي له خبر - نحو «العلم» من قولك: العلم نافع.
-المفعول الأول - لظنّ وأخواتها.
-المفعول الثاني - لأرَى وأخواتها.
-نائب الفاعل - كقوله تعالى: (ووضع الكتاب)

مواضع المسند:

-خبر المبتدأ - نحو «قادرٌ» من: الله قادرٌ.
الفعل التام - نحو «حضر» من: حضر الأمير.
-اسم الفعل - نحو «هيهات - وَوَى - وآمينَ.
-المبتدأ الوصفُ المُستغنى عن الخبر بمرفوعه، نحو «عارف» من: أعارفٌ أخوك قدرَ الإنصاف؟.
-أخبار النَّواسخ«كان ونَظَائرُها-وإنَّ ونظائرُها»
-المفعول الثاني - لظنّ وأخواتها.
-المفعول الثالث - لأرَى وأخواتها.
المصدر النّائب عن فعل الأمر - نحو «سعياً في الخير»

أنواع المسند والمسند إليه

كلمتان حقيقتان
نحو: زيد قائم

كلمتان حكمان
نحو «لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار»، أي «توحيدُ الاله نجاة من النار»

الأول كلمة حكما والثاني كلمة حقيقة
نحو «تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه» أي «سماعك بالمعيدي خير من رؤيته»

عكس الثالث
نحو «الأمير قرُب قدومه» أي «الأمير قريب قدومه»

أغراض الخبر

فائدة الخبر
هو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان جاهلا له، نحو «الدين المعاملة»

لازم الفائدة
هو المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بأنه يعلم الخبر كما تقولُ: لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان - وعلمته من طريق آخر: أنت نجحت في الامتحان، وسمي به لأن يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَن به.

أغراض أخرى للخبر
تستفاد بالقرائن ومن سياق الكلام

الاسترحام والاستعطاف
نحو: إني فقير إلى عفو ربي.

تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله
نحو: ليس سواء عالم وجهول.

إظهار الضعف والخشوع
نحو (ربِّ إني وَهنَ العظم منيٌّ)

إظهار التحسر على شيء محبوب
نحو (رب إني وضعتها أنثى)

التوبيخ
نحو قولِك للعاثر: (الشمس طالعةٌ)

التَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوت
نحو: (لا يستوي كسلان ونشيط)

التحذير
نحو: (أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق)

الفخر
نحو: إن الله اصطفاني من قريش

إظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر
نحو: (جاء الحق وزهق الباطل)

المدح
نحو: فإنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكب

صور الخبر
باختلاف أحوال المخاطب

ابتدائي
هو أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردد فيه، ولا منكر له. وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التوكيد، نحو قوله تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا»

طلبي
هو أن يكون المخاطب متردداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام المُلقى إليه تقوية للحكم، ليتمكن من نفسه، نحو: إن الأمير منتصرٌ

إنكاري
هو أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذي يراد إلقاؤه إليه، معتقداً خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثرَ، على حسب حاله من الإنكار قوة وضعفاً، نحو: إن أخاك قادمٌ - أو إنه لقادم - أو والله إنه لقادم أو لعمري: إن الحق يعلو ولا يُعلى عليه.

أدوات توكيد الخبر
إن، وأن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة (كتفعل واستفعل) والتكرار، وقد، وأما الشرطية، وإنما، واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي.

إخراج الكلام عن أضرب الخبر الثلاثة

تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها، أو بهما معاً منزلة الجاهلِ بذلك

وذلك لعدم جريه على موجب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يؤذي أباه: هذا أبوك.

تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر

كقوله تعالى «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون»، لما أمر المولى نوحاً أوّلا بصنع الفلك، ونهاه ثانيا عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غيرَ سائل في مقام السائل المتردد، هل حكم الله عليهم بالإغراق، فأجيب بقوله: «إنهم مغرقون»

تنزيل غير المنُكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار

تنزيل المتردد منزلة الخالي

كقولك للمُتردد في قدوم مسافر مع شهرته: قدم الأمير

تنزيل المتُردد منزلة المنكر

كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: إنَّ الفرج لقريب.

تنزيل المنكر منزلة الخالي، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع وزال إنكاره

كقوله تعالى: (وإلهكم إله واحد).

تنزيل المنكر منزلة المُتردد

كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكاراً ضعيفا: «إن الجاه بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وأمَّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك»

الخبر

الجملة الفعلية

هي ما تركبت من فعل وفاعل، أو من فعل ونائب فاعل

التّجدد والحدوث في زمن معين مع الاختصار

نحو: يعيش البخيل عيشة الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

استمرار التجدّدي شيئاً فشيئاً

بحسب المقام وبمعونة القرائن، لا بحسب الوضع بشرط أن يكونَ الفعلُ مضارعاً.

الجملة الاسمية

هي ما تركبت من مبتدأ وخبر.

ثبوت شيء لشيء أصل وضعها ليس غيرُ بدون نظر إلى تجدّد ولا استمرار

نحو: الأرض متحركة

الدوام والاستمرار بحسب القرائن

إذا لم يكن في خبرها فعل مضارع، وذلك بأن يكون الحديث في مقام المدح، أو في معرض الذم، كقوله تعالى: (وإنكَ لعلى خلق عظيم) فسياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت.

خبر الجملة الاسمية

مفرد

تفيد الثُبوت بأصلَ وضعها، والاستمرار بالقرائن، نحو: الوطنُ عزيز

جملة اسمية

تفيد الثُبوت بأصلَ وضعها، والاستمرار بالقرائن، نحو: الوطن هو سعادتي

جملة فعلية

تفيد التجدد والحدوث في زمن مخصوص، نحو: الوطن يسعد بأبنائه

الإنشاء
هو كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته

الإنشاء الطلبي

الأمر

التمني

النهي

النداء

الاستفهام

الإنشاء غير الطلبي

المدح والذم
فيكونان بنعم وبئس وما جرى مجراهما نحو حبذا، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو طاب عليٌّ نفساً، وخبث بكر أصلاً.

العقود
فتكون بالماضي كثيراً، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ - وأعتقتُ - وبغيره قليلا - نحو أنا بائع، وعبدي حرٌ لوجه الله تعالى.

القسم
فيكون: بالواو - والباء - والتاء - وبغيرها نحو: لعمرك ما فعلت كذا.

التعجب
فيكون قياساً بصيغتين، ما أفعله - وأفعل به وسماعاً بغيرهما، نحو: لله دره عالما - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم.

الرجاء
فيكون: بعسى وحرى واخلولق، نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح. واعلم أن الإنشاء غير الطلبي لا تبحث عند علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

الأمر
هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وصيغه:

فعل الأمر
نحو: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة»

المضارع المجزوم بلام الأمر
نحو: «لينفق ذو سعة من سعته»

اسم فعل الأمر
نحو: «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»

المصدر النائب على فعل الأمر
نحو: سعياً في سبيل الخير.

قد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والإلزام) إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ومنها (18):

الدعاء
نحو: «رب أوزعني أن اشكر نعمتك»

الالتماس
كقولك لمن يساويك: أعطني القلم أيها الأخ

الإرشاد
نحو: «إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه»

التهديد
نحو: «اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير»

التعجيز
نحو: «فأتوا بسورة من مثله»

الإباحة
نحو: «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض»

التسوية
نحو: «وإصبروا أو لا تصبروا»

الإكرام
نحو: «ادخلوها بسلامٍ آمنين»

الامتنان
نحو: «فكلوا مما رزقكم الله»

الإهانة
نحو: «كونوا حجارةٍ أو حديداً»

الدوام
نحو: «إهدنا الصراط المستقيم»

الاعتبار
نحو:«أنظروا إلى ثمره إذا أثمر»

الأذن
كقولك لمن طرق الباب: «ادخل»

التكوين
نحو: «كن فيكون»

التخيير
نحو: تزوج هنداً أو أختها

التأديب
نحو: كل مما يليك

التمني
كقول امرىء القيس: ألاَ أيها الليل الطويل ألا انجلي *** بصبح وما الاصباح منك بأمثل

التعجب
نحو: «أنظر كيف ضربوا لك الأمثال»

النهي

هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية: كقوله تعالى «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها» وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومنها (12):

الدعاء
نحو: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا»

الالتماس
كقولك لمن يُساويك - أيها الأخ لا تتوان

الإرشاد
كقوله تعالى «لا تسالوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم»

الدوام
نحو: «ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل

بيان العاقبة
نحو قوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء

التيئيس
نحو قوله تعالى «لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم»

التمني
نحو: يا ليلُ طل يا نومُ زلْ *** يا صبح قف لا تطلع

التهديد
كقولك لخادمك: لا تطع أمري

الكراهة
نحو: لا تلتفت وأنت في الصلاة.

التوبيخ
نحو لا تنه عن خلق وتأتى مثله

الاستئناس
نحو «لا تحزن إن الله معنا»

التحقير
كقوله: لا تطلب المجد إن المجد سلمه صعب، وعش مستريحاً ناعم البال

الاستفهام

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية، وهي: الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي.

ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو الهمزة.

التصور
هو إدراك المفرد، نحو أعليّ مسافر أم سعيد؟ وحكم الهمزة التي لطلب التصور، أن يليها المسؤول عنه بها، سواء - أكان:

- مسنداً إليه- نحو: أأنت فعلت هذا أم
- مسنداً- نحو: أراغبٌ انت عن الأمر أم راغب فيه
- مفعولا - نحو: إياي تقصد أم سعيداً
- حالا - نحو: أرا كباً حضرت أم ماشيا
- ظرفا - نحو: أيومَ الخميس قدمت أم يوم الجمعة، ويذكر المسئول عنه في التصور بعد الهمزة

التصديق
هو إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه أو عدم وقوعها، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته، مصدقا للجواب إثباتاً بنعم أو نفياً بلا

ما يطلب به التصديق فقط
وهو هل، أي معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها لا غير، نحو: هل حافظ المصريون على مجد أسلافهم؟. ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة. **<u>وهل لا تدخل على</u>**:

المنفى
فلا يقال: هل لم يفهم علي؟

المضارع هو للحال
فلا يقال: هل تحتقر علياً وهو شجاع؟

إن
فلا يقال: هل إن الأمير مسافر؟

الشرط
فلا يقال: هل إذا زرتُك تكرمني؟

حرف العطف
فلا يقال: هل فيتقدَّم أو هل ثم يتقدم؟

ما بعده فعل
فلا يقال: هل بشراً مِنا واحداً نتبعه؟

ما يطلب به التصور فقط
وهو بقية ألفاظ الاستفهام، وهي: ما، ومن، ومتى، وايان، وكيف، وأينَ، وانّى، وكَم، وأي، ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسئُول عنه.

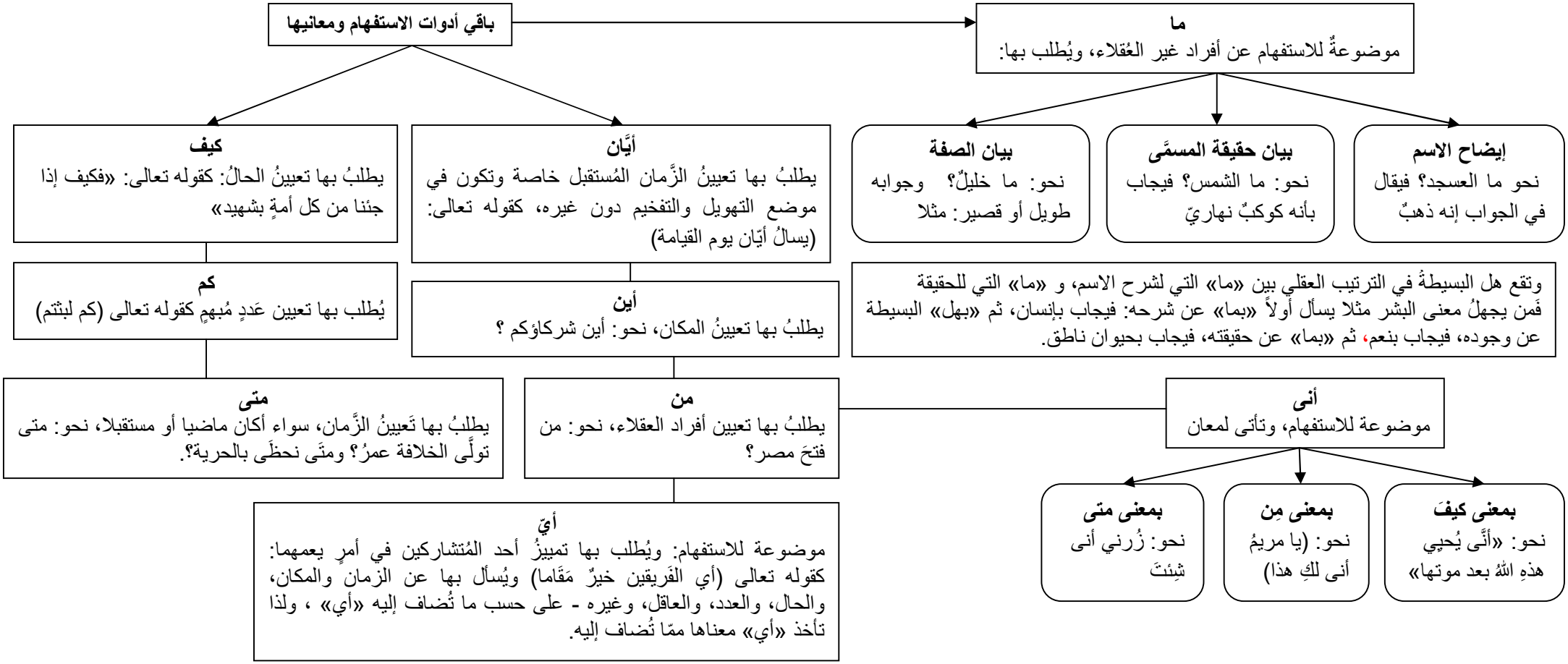
باقي أدوات الاستفهام ومعانيها
ما
موضوعةٌ للاستفهام عن أفراد غير العُقلاء، ويُطلب بها:
إيضاح الاسم
نحو ما العسجد؟ فيقال في الجواب إنه ذهبٌ
بيان حقيقة المسمَّى
نحو: ما الشمس؟ فيجاب بأنه كوكبٌ نهاريّ
بيان الصفة
نحو: ما خليلٌ؟ وجوابه طويل أو قصير: مثلا
وتقع هل البسيطةُ في الترتيب العقلي بين «ما» التي لشرح الاسم، و «ما» التي للحقيقة فَمن يجهلُ معنى البشر مثلا يسأل أولاً «بما» عن شرحه: فيجاب بإنسان، ثم «بهل» البسيطة عن وجوده، فيجاب بنعم، ثم «بما» عن حقيقته، فيجاب بحيوان ناطق.
أيَّان
يطلبُ بها تعيينُ الزَّمان المُستقبل خاصة وتكون في موضع التهويل والتفخيم دون غيره، كقوله تعالى: (يسالُ أيّان يوم القيامة)
كيف
يطلبُ بها تعيينُ الحالُ: كقوله تعالى: «فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد»
أين
يطلبُ بها تعيينُ المكان، نحو: أين شركاؤكم ؟
كم
يُطلب بها تعيين عَددٍ مُبهمٍ كقوله تعالى (كم لبثتم)
من
يطلبُ بها تعيين أفراد العقلاء، نحو: من فتحَ مصر؟
متى
يطلبُ بها تَعيينُ الزَّمان، سواء أكان ماضيا أو مستقبلا، نحو: متى تولَّى الخلافة عمرُ؟ ومتَى نحظَى بالحرية؟.
أنى
موضوعة للاستفهام، وتأتى لمعان
بمعنى كيفَ
نحو: «أنَّى يُحيِي هذهِ اللهُ بعد موتها»
بمعنى مِن
نحو: (يا مريمُ أنى لكِ هذا)
بمعنى متى
نحو: زُرني أنى شِئتَ
أيّ
موضوعة للاستفهام: ويُطلب بها تمييزُ أحد المُتشاركين في أمرٍ يعمهما: كقوله تعالى (أي الفَريقين خيرٌ مَقَاما) ويُسأل بها عن الزمان والمكان، والحال، والعدد، والعاقل، وغيره - على حسب ما تُضاف إليه «أي» ، ولذا تأخذ «أي» معناها ممّا تُضاف إليه.

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي وهو طلب العلم بمجهول، فيستفهم بها عن الشّيء مع العلم به لأغراض أخرى التي تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته، ومن أهمّ ذلك (21):

الأمر
نحو: (فَهَل أنت مُنتَهُون) أي - انتهو.

النّهي
نحو: (أتخشَونهُم فاللهُ أحقُ أن تخشوهُ)

التسوية
نحو: (سَوَاء عليهم أأنذَرتَهُم أم لم تنُذرهم لا يؤمنون)

النفي
نحو: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

الإنكار
نحو: (أغيرَ اللهِ تَدعون)

التشويق
نحو: (هل أدُلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذاب أليم)

الاستئناس
نحو: (وما تلك بيمينك يا مُوسى)

التَّقرير
نحو: (ألم نشرح لك صدرك)

التَّهويل
نحو:(الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ وما أدراك ما الحاقَّة)

الاستبعاد
نحو: (أنَّى لهم الذِّكرى وقد جاءهم رسول مبين)

التعظيم
نحو: «من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه»

التحقير
نحو: أهذا الذي مدحته كثيراً؟

التَّعجُّب
نحو: (ما لهذاَ الرسول ياكل الطَّعامَ ويَمشي في

التهكم
نحو: أعقلك يُسوغُ لك أن تفعل كذا

الوعيد
نحو: (ألم تَر كيفَ فعل ربّك بعادٍ)

الاستنباط
نحو: (متى نصرُ الله) ونحو: كم دعوتك

التّنبيه على الخطأ
نحو:(أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هُوَ خيرٌ)

التّنبيه على ضلال الطّريق
نحو: (فأين تذهبون)

التّنبيه على الباطل
نحو: (أفأنت تُسمِع الصُّم أو تهدى العُمى)

التّحسُّر
نحو: ما للمنازل أصبحتُ لا أهلُها أهلي، ولا جيرانُها جيراني

التَّكثير
كقول أبي العَلاء المعرّي: صاح - هذه قبورُنا تملأ الرحبَ فأين القبور من عَهد عَاد؟

التمني
هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى، ولا يتوقّع حصوله، وذلك إما لكونه؛
a. مستحيلا، كقوله: ألا ليتَ الشبَابَ يعودُ يوما *** فأخبَره بما فعلَ المشيبُ
b. ممكناً غير مطموع في نيله ، كقوله تعالى (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون)
وإذا كان الأمرُ المحبوبُ ممّاً يرجى حصوله كان طلبه ترجياً وبعبر فيه «بعسى، ولعل» كقوله تعالى «لعل الله يُحدثُ بعدَ ذلك أمراً» و «عسى الله أن يأتي بالفتح». وقد تستعل في الترجي «ليت» لغرض بلاغي. وللتمني أربع أدوات واحدةٌ أصلية وهي «ليتَ»، وثلاث غيرُ أصلية نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي، وهي:

هل
نحو:(فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)

لو
نحو: (فلو أن لنا كرةً فنكون من المؤمنين)

لعلَّ
نحو: اسربَ القَطا هل من يعير جناحهُ؟ لعلّي إلى من قد هويت أطيرُ

النِّداء
هو طلبُ المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء - وأدواته ثمان الهمزة، وايّ، ويا، وآي، وأيَا وَهيا، ووا. وهي في كيفية الاستعمال نوعان:
- الهمزة وأيّ: لنداء القريب
- باقي الأدوات لنداء البعيد.
وقد يُنزلُ البعيد منزلة القريب - فينادي بالهمزة وايّ، إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه.
وقد يُنزل القريب منزلة البعيد - فينادَى بغير «الهمزة، واي» لأمور، منها:
- إشارة إلى عُلُوّ مرتبته، فيجعلُ بعدُ المنزلة كأنه بُعد في المكان كقوله «أيا مولاي» وانت معه للدلالةِ على ان المُنادي عظيمُ القدر، رفيعُ الشأن.
- إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته - كقولك «اياهذا» لمن هو معك.
- إشارة إلى انّ السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غير حاضر كقولك للساهي - أيا فلانُ -

قد تخرج ألفاظ النّداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السِّياق بمعونة القرائن، ومن أهمّ ذلك (9):

الإغراء
نحو قولك لمن أقبل يتظَّلم: يا مظلومُ.

الاستغاثة
نحو، ياالله للمؤمنين.

الندبة
نحو: فواعجباً كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ وَوَا أسفاً كم يظهر النقص فاضل

التحسُّر والتَّوجُّع
كقوله تعالى «يا ليتني كنتُ تراباً»

التَّذكر
نحو: أيا منزلي سلمى سلامٌ عليكما هل الأزمُن اللاتي مضينَ رواجع

التحيرُ والتضجُّر
نحو: ايا مَنازلَ سلمى أين سلماك من أجل هذا بكيناهاَ بكيناك

الزجر
نحو: أفؤادي متى المتابُ ألَّما تصحُ والشَيبُ فوق راسي المَّا

التعجب
نحو: يا لك من قُبُرة بمعمرٍ خلاَ لكِ الجوُّ فبيضى واصفرى

وقد يُنزل القريب منزلة البعيد - فينادَى بغير «الهمزة، واي» لأمور، منها:
- إشارة إلى عُلُوّ مرتبته، فيجعلُ بعدُ المنزلة كأنه بُعد في المكان كقوله «أيا مولاي» وانت معه للدلالةِ على ان المُنادي عظيمُ القدر، رفيعُ الشأن.
- إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته - كقولك «اياهذا» لمن هو معك.
- إشارة إلى انّ السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غير حاضر كقولك للساهي - أيا فلانُ -

الاختصاص
هو ذكرِ اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه، نحو قوله تعالى: «رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد» ونحو: نحن العلماءَ ورثة الأنبياء: وذلك لأمور، منها:

التَّفاخر
نحو: أنا أكرمُ الضيف أيها الرجل.

التَّواضُع
نحو: أنا الفقيرُ المسكينُ أيّها الرجل

يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة، أهمها (5):

الاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً
نحو: رحم الله فلانا

التنبيه على تيسير المطلوبِ لقوة الأسباب
كقول الأمير لجنده: تأخذون بنواصيهم وتنزلونهم من

المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال
نحو (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) لم يقل لا تسفكوا، قصداً للمُبالغة في النَّهي، حتى كأنهم نهو فامتثلوا ثم أخبر عنهم بالامتثال.

إظهار الرَّغبة
نحو: قولك في غائب: رَزَقني الله لقاءهُ.

التفاؤل
نحو: هداك الله لصالح الأعمال، كأنَّ الهدايةَ حصلت بالفعل فاخبرَ عنها.

يُستعمل كل من (الأمر والنهي والاستفهام) في أغراض أخر يرجع في إدراكها إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالُها في غير ما وُضعت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزية يترقى بها الكلام في درجات البلاغة

يُوضع الإنشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة، منها:

إظهار العناية بالشيء والاهتمام بشأنه
كقوله تعالى (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجُوهكم عند كل مسجد)

التحاشي والاحتراز عن مُساواة اللّاحق بالسّابق
كقوله تعالى (قال إني أشهدُ الله، واشهدوا أني بريء ممَّا تُشركونَ من دونه) لم يقُل وأُشهدكم تَحاشياً وفراراً مِن مُساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى.

الإنشاء كالخبر في كثيرٍ ممّا ذكر فيه

المسند إليه

هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل، ونائبه، وأسماؤه، وأحواله هي النواسخ: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتّقديم، والتأخير

مُرجحّات ذكر المسند إليه (9)

زيادةُ التقرير والإيضاح للسامع
نحو: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

التسجيل على السامع حتّى لا يتأتى له الإنكار
كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل اقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد نعم زيد هذا أقر بأنّ عليه كذا.

قلة الثقة بالقرينة لضعفها أو ضعف فهم السامع
نحو: سعدٌ نعم الزعيم: تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره

التعجب إذا كان الحكم غريباً
نحو: عليٌّ يقاوم الأسد في جواب من قال: هل عليٌ يقاوم الأسد؟

الرَّد على المُخاطب
نحو: الله واحدٌ، ردا على من قال: الله ثالث ثلاثة.

التعظيم
نحو حضر سيفُ الدّولة، في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

التعريضُ بغباوة السامع
نحو سعيدٌ قال كذا - في جواب: ماذا قال سعيد؟

الإهانة
نحو السَّارق قادم، في جواب من قال: هل حضر السَّارق؟

التَّلذذ
نحو: الله ربي، الله حسبي.

حذف المُسند اليه

الحذف خلاف الأصل، ويكون لمجرَّد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على وجود قرينة تدُلّ على المحذوف، وهو قسمان:

1) قسمٌ يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولهم: أهلا وسهلا، فإن نصبهما يدل على ناصب محذوف يُقدر بنحو: جئت أهلا ونزلت مكاناً سهلاً، وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.
2) قسم لا يظهر فيه المحذوف عند الإعراب، وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى، ووجدتَه لا يتم إلا بمراعاته، نحو: يعطي ويمنع أي يُعطى من يشاء، ويمنع من يشاء، ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة، وضاع ذلك الرَّونق.

أغراض حذف المسند إليه (14)

ظهوره بدلالة القرائن عليه
نحو: "فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم" أي أنا

إخفاءُ الأمر عن غير المخاطب
نحو أقبل «تُريد عليا مثلا» .

تيسر الإنكار إن مسَّت إليه الحاجة
نحو: لئيم خسيس بعد ذكر شخص لا تذكر اسمه ليتأتَّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردته ولا قصدته.

تكثيرُ الفائدة
نحو: فصبرٌ جميل «أي فأمري صبر جميل» .

تعيُّنه بالعهدّية
نحو: (واستوت على الجودي) أي السفينة ونحو «حتى توارت بالحجاب» أي الشمس

الحذر من فوات فرصة سانحة
نحو منبه الصياد: غزالٌ «أي هذا غزال»

اختبار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبهه
نحو: نوره مستفادٌ من نور الشمس.

المحافظة على السجع
نحو: من طابت سريرته حمدت سيرتُهُ

ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع
نحو: قال لي كيف أنت قلت عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويل

كون المسند إليه معيناً معلوماً حقيقة
نحو: (عالم الغيب والشهادة) أي الله أو معلوماً ادعاء

إتباع الاستعمال الوارد على تركه
نحو: رميةٌ من غير رام أي هذه رمية

إشعار أنّ في تركه تطهيراً له عن لسانك، أو تطهيراً للسانك عنه
مثال الأول: مُقررٌ للشرائع، موضحٌ للدّلائل تريد صاحب الشريعة، ومثال الثاني: صمٌ بُكمٌ عُميٌ.

المحافظة على قافية
نحو: وما المالُ والأهلون إلا ودائع *** ولابُدَّ يوماً أن تردَّ الودائعُ

المُحافظة على وزن
نحو: على أنني راضٍ بان أحملَ الهوى *** وأخلص منه لا عليَّ ولاَ ليا

تعريف المسند إليه

حقُ المسند إليه: أن يكون معرفة، لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكونَ الحكم مفيداً. وتعريفه إمّا: بالإضمار، وإمّا بالعلمية، وإما بالاشارة، وإمّا بالموصولية، وإمّا بأل، وإمّا بالإضافة، وإمّا بالنداء.

الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهدٍ مُعين، نحو: أنت استرققتني بإحسانك. وقد يُخاطب:

أ- غيرُ المشاهد إذا كان مُستحضراً في القلب، نحو: لا إله إلا أنت

ب- غير المعُين: إذا قُصد تعميمُ الخطاب لكلِّ من يمكن خطابه على سبيل البدل، لا التناول دفعة واحدة، كقول المتنبي:

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

الأصلُ في وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره، وقد يعدل عن هذا الأصل، فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة، منها:

أ- تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه، كقوله: هي النفس ما حملتها تتحملُ، فأنها لا تعمى الأبصار - ونعم رجلا عليٌ - فالفاعل ضمير يفسره التمييز، ويطَّرد ذلك في بابى نعم وبئس، وفي باب ضمير الشأن - نحو قوله تعالى: «هو الله أحد» .

ب- ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، نحو: أقبل وعليه الهيبة والوقار.. ونحو قول الشاعر:

أبت الوصال مخافة الرقباء وأتتكَ تحتَ مدارع الظلماء

ويسمى هذا العدول بالإضمار في مقام الإظهار

يُؤتى بالمسند إليه ضميرا لأغراض، منها:

كون الحديث في مقام التكلّم
نحو: (انا النبيّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطَّلب)

كون الحديث في مقام الخطاب
نحو: وانتَ الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يَلومُ

كون الحديث في مقام الغيبة، لكون المسند إليه مذكورا أو في حكم المذكور لقرينة
نحو: هو اللهُ تبارك وتعالى، ولابدَّ من تقدّم ذكره، وذلك إما:

- **لفظاً** نحو: «واصبر حتى يحكُم الله بيننا وهوَ خيرُ الحاكمين»
- **معنى** نحو: «وإن قيل لكمُ ارجعُوا فارجِعوا هو أزكى لكُم» أي الرجوع، ونحو «اعدلوا هو أقربُ للتقوى» - أي العدل
- **قرينة حال** نحو: «فلهُنَّ ثُلثُا مَا تَرَكَ» أي الميت

وضع الظاهر موضع الضمير

ويسمى هذا المدلول بالإظهار في مقام الإضمار، وذلك لأغراض كثيرة، منها:

- **إلقاء المهابة في نفس السامع** كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا.
- **تمكين المعنى في نفس المخاطب** نحو: الله ربي ولا أشرك بربي أحداً.
- **التلذذ** نحو: سقى الله نجداً والسلام على نجد *** ويا حبذا نجدٌ على القُرب والبعد
- **الاستعطاف** نحو: اللهم عبدك يسألك المغفرة أي أنا أسألك.

يُوتى بالمسند إليه علماً

لإحضار معناه في ذهن السامع، ابتداء باسمه الخاص ليمتاز عمّا عداه. وهناك أغراضٌ أخرى تناسب المقام، منها:

- **المدح في الألقاب التي تشعر بذلك.** نحو: جاء نصر - وحضر صلاح الدين.
- **الذّم والإهانة** نحو: جاء صخر وذهب تأبط شرّا.
- **التّفاؤل** نحو جاء سُرور.
- **التشاؤم** نحو: حرب في البلد.
- **التبرُّك** نحو: اللهُ أكرمني، في جواب: هل أكرمك الله؟
- **التّلذذ** نحو: بالله يا ظبيات القاع قُلن لنا *** ليلاي منكنَّ أم ليلى من البشر.
- **الكناية عن معنى يصلح العلم لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلمية** نحو: أبو لهب فعل كذا، كناية عن كونه جهنميا لان اللهب الحقيقي هو لهبُ جهنم، فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك.

تعريف المسند إليه بالإشارة

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة: إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السَّامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يَعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاص، ولا مُعيّناً آخر، كقولك أتبيع لي هذا مُشيراً إلى شيء لا تعرف له اسما ولا وصفاً.
أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى، منها:

أ- بيان حاله في القُرب - نحو: هذه بضاعتنا
ب- بيان حاله في التَّوسط - نحو: ذاك ولدي
ت- بيان حاله في البُعد - نحو: ذلك يوم الوعيد.

أغراض تعريف المسند إليه بالإشارة (6)

تعظيم درجته بالقُرب
نحو: (إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) . أو تعظيم درجته بالبعبد، نحو (ذلك الكتاب لا ريب فيه)

التحقير بالقُرب
نحو: (هل هذا إلا بشرٍ مثلُكم) ؟ أو التَّحقير بالبُعد - كقوله تعالى «فذلك الذي يدُعُّ اليتيم»

إظهار الاستغراب
نحو: كم عاقلٍ أعيت مذاهبهُ وجاهلٍ تلقاهُ مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصيَّر العالم النحرير زنديقا

تعريف المسند إليه بالموصولية

يُؤتى بالمسند إليه اسمُ موصول: إذا تَعيَّنَ طريقاً لإحضار معناه كقولك: الذي كان معنا أمس سافر، إذا لم تكن تعرف اسمه، أمَّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك فيكون لأغراض أخرى. واعلم انَّ التعريف بالموصوليَّة مبحث دقيق المسلك، غريب النَّزعة يُوقفكَ على دقائق من البلاغة، تؤنسُك إذا أنتَ نظرتَ إليها بثاقب فكرك، وتثلجُ صدرك إذا تأمَّلتَها بصادق رأيك، فأسرارُ ولطائف التَعريف بالموصوليّة لا يمكن ضبطها واعتبر في كل مقام ما تراه مناسباً.

كمال العناية وتمييزه أكمل تمييز
نحو: هذا الذي تعرفُ البطحاء وَطأته *** والبيتُ يعرفهُ والحلَ والحَرم

التَّعريض بغباوة المخاطب، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس
نحو: أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة
نحو: «أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون»

أغراض تعريف المسند إليه بالموصولية (11)

التَّشويق
وذلك فيما إذا كان مضمون الصّلة حُكماً غريباً
نحو: والذي حارَت البريَّة فيه حيَوانٌ مستحدثٌ من جَماد

إخفاء الأمر عن غير المخاطب
نحو: وأخذتُ ما جاد الأميرُ به ** وقضيتُ حاجاتي كما أهوى

التَّنبيه على خطأ المخاطب
نحو: (إنّ الذين تَدعونَ من دون الله عبادٌ أمثالكم)

التَّنبيه على خطأ غير المُخاطب
نحو: إنَّ التي زعمت فؤادك مَلّها *** خلعت هواك كما خلعت هوى لها

تعظيم شأن المحكوم به
نحو: إنَّ الذي سمك السَّماء بنى لنا *** بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

التَّهويل تعظيماً أو تحقيراً
نحو: فَغشيَهُم من أليم ما غشيهم).

استهجان التصريح بالاسم
نحو: الذي ربّاني أبى

الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب
نحو: (الذين آمنوا وعملُوا الصالحات لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم)

التَّوبيخ
نحو: الذي أحسن إليك قد أسأت إليه.

الاستغراق
نحو: الذين يأتونك أكرمهم.

الإبهام
نحو: لكلّ نفس ما قدَّمت

تعريف المسند إليه بأل

أل العهدية

تدخل على المُسند إليه للإشارة لى فرد معهود خارجاً بين المُتخاطبين - وعهده يكون بالأمور اللآتية

تقدم ذكره صريحاً

نحو: «كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرَّسولَ» ويُسمَّى عهداً صريحياً.

حضوره بذاته

نحو: (اليوم أكملتُ لكن دينكم)، أو بمعرفة السامع له، نحو: هل انعقد المجلس؟، ويُسمى عهداً حُضورياً .

تقدم ذكره تلويحاً

نحو: «وليس الذكر كالأنثى» فالذَّكر وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارة إلى ما في الآية قبله (ربِّ نذَرتُ لك ما في بطني مُحرَّراً). فإنهم كانوا لا يُحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعنى بما، ويسمى عهدا كنائياً.

أل الجنسية

وتسمى (لام الحقيقة) تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة، وهي:

لام الحقيقة من حيث هي

فهي الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي، بقطع النَّظر عن عمومها وخصوصها
نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق.
وتسمى (لام الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد، نحو: الذهب أثمن من الفضة.

لام الحقيقة في ضمن فرد مبهم

فهي الإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك
نحو: «وأخاف أن يأكله الذئب»، ومدخولها في المعنى (كالنكرة) فيُعامل مُعاملتها، وتسمى لام العهد الذهني.

لام الاستغراق الحقيقي

فهي الإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة، ويُسمى «استغراقاً حقيقياً» وذلك بأمرين:

معونة قرينة حالية

نحو: «عالم الغيب والشهادة» أي كل غائب وشاهد.

معونة قرينة لفظية

نحو: «إن الانسان لفي خُسر» أي كل إنسان، بدليل الاستثناء بعده.

لام الاستغراق العرفي

فهي الإشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً، ويسمى «استغراقاً عرفياً»
نحو: جمع الأمير التُّجار وألقى عليهم نصائحه، أي جمع الأمير تجَّار مملكته، لا تجَّار العالم أجمعَ.

استغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى، والجمع، واسم الجمع، لأن المفرد يتناول كل واحد واحد من الأفراد، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة - بدليل صحة: لا رجال في الدار، إذا كان فيها رجل أو رجلان، بخلاف قولك: لا رجل، فانه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان. وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها، وإنما تصح في النكرة المنفية، دون الجمع المعروف باللام؛ لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد، نحو: «الرجال قوامون على النساء» بل هو في المفرد أقوى، كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير في كل ما وقع في القرآن العزيز، نحو: (عالم غيب السموات والأرض) - (والله يحب المحسنين) - (وعلم آدم الأسماء كلها) - إلى غير ذلك من آي الذكر الحكيم - كما في المطولات.

تعريف المسند إليه بالإضافة

يؤتى بالمسند إليه معرَّفا بالإضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض، منها (6):

أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع

نحو: جاء غلامي - فغلامي أخصر من قولك: جاء الغلام الذي لي.

تعذر التعدد أو تعسره

نحو: أجمع أهل الحق على كذا وأهل مصر كرامٌ.

الخروج من تبعة تقديم البعض على البعض

نحو: حضر أمراء الجند.

التعظيم للمضاف

نحو: كتاب السلطان حضر او التعظيم للمضاف إليه - نحو: الأمير تلميذي - أو غيرهما: نحو: أخو الوزير عندي.

التحقير للمضاف

نحو: ولدُ اللص قادم، أو التحقير للمضاف إليه - نحو: رفيق زيد لصٌ - أو غيرهما: نحو: أخو اللصّ عند عمرو

الاختصار لضيق المقام: لفرط الضَّجر والسآمة

كقول جعفر بن علبة «وهو في السجن بمكة»

تعريف الخبر بلام الجنس

واعلم أن هيئة التركيب الإضافي: موضوعة للاختصاص المصحّح لأن يقال المضاف للمضاف إليه، فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً، كما في الإضافة لأدنى ملابسة نحو: مكرُ الليل. تعريف الخبر بلام الجنس لأمرين:

تخصيص المسند إليه بالمسند المعرف عكسه حقيقة

نحو: هو الغفور الودود، ونحو: وتزودوا فان خير الزاد التقوى

التنبيه على كمال ذلك الجنس في المسند إليه ادعاء

نحو: محمد العالم أي الكامل في العلم، أو كماله في المسند، نحو الكرم التقوى أي لا كرم إلا هي

تنكير المسند إليه

يؤتى بالمسند إليه نكرة لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقةً أو ادعاءً، كقولك: جاء هنا رجل يسأل عنك، إذا لم تَعرف ما يعينه من علم أو صلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى، منها (6):

التَّكثير

نحو: وإن يكذبوك فقد كذبت رسلٌ من قبلك (أي رسلٌ كثيرة)

التقليل

نحو: لو كان لنا من الأمر شيء، ونحو: ورضوان من الله أكبر.

التّعظيم والتّحقير

نحو: له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينهُ *** وليس له عن طالب العرف حاجب

إخفاء الأمر

نحو: قال رجل إنك انحرفت عن الصَّواب تخفى اسمه، حتى لا يلحقه أذىً

قصد الإفراد

نحو: ويلٌ أهونُ من ويلين، أي ويل واحد أهون من ويلين.

قصد النوعية

نحو: لكل داءٍ دواءٌ، أي لكلّ نوع من الدَّاء نوع من الدواء.

تعريف المسند إليه بالنّداء

يُؤتى بالمسند إليه معرفاً بالنداء لأغراض كثيرة، منها:

أ- إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاص، نحو: يا رجل

ب- الإشارة إلى علّة ما يُطلب منه، نحو: يا تلميذ أكتب الدَّرس

تقديم المسند إليه

مرتبة المُسند إليه التقديم، وذلك لأنَّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن، لأنه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فاستحق التقديم وضعاً، ولتقديمه دواع شتَّى، منها (10):

تعجيل المسرَّة

نحو: العفو عنك صدر به الأمر

النّص على عموم السلب أو النص على سلب العموم

تعجيلُ المساءة

نحو: القصاصُ حكم به القاضي.

إفادة التَخصيص قطعاً إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي والمسند فعلا

نحو: ما أنا قلت هذا ولا غيري، أي: لم أقله

التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدّم مشعراً بغرابة

نحو: والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدثٌ من جماد

كون المتقدم محطّ الإنكار والغرابة

نحو: أبعدَ المشيب المُنقضى في الذَّوائب *** تُحاول وصل الغانيات الكواعب

التَّلذّذ

نحو: ليلى وصلت وسلمى هجرت

سُلوك سبيل الرُّقى

نحو: هذا الكلام صحيح، فَصيح، بلَيغ - فإذا قلت فصيح بليغ، لا يحتاج إلى ذكر صحيح، وإذا قلت بليغ لا يحتاج إلى ذكر فصيح.

التَّبرك

نحو: اسمُ الله اهتديتُ به

مُراعاة الترتيب الوُجودي

نحو (لا تأخذُهُ سنةٌ ولا نوم)

فعمومُ السلب يكون بتقديم أداة العموم ككلّ وجميع على أداة النفي، نحو: كل ظالم لا يُفلح، المعنى: لا يفلح أحد من الظلمة، ونحو: كل ذلك لم يكن، أي لم يقع هذا ولا ذاك، ونحو: كل تلميذ لم يقصر في واجبه. ويسمى شمول النفي. واعلم أن عُموم السلب يكون النفي فيه لكل فرد، وتوضيح ذلك: أنك إذا بدأت بلفظة "كل" كنتَ قد سلَّطت الكلية على النفي، وأعملتها فيه، وذلك يقتضي ألا يشذَّ عنه شيء. وسلب العموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: لم يكن كلّ ذلك، أي لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفي كل فرد، لأنَّ النفَّي يوجه إلى الشمول خاصة، دون أصل الفعل، ويُسمى نفى الشّمول. واعلم: أن سلب العُموم يكون النَّفي فيه للمجموع غالباً كقول المتنبي: ما كل رأي الفتى يدعو إلى رشدٍ. وقد جاء لعموم النفي قليلا: قوله تعالى (إن الله لا يحب كل مختال فخور). ودليل ذلك: الذوق والاستعمال.

إفادة التَخصيص قطعاً إذا كان المسند إليه مسبوقاً بنفي والمسند فعلا - نحو: ما أنا قلت هذا ولا غيري، أي: لم أقله وهو مقول لغيري، ولذا: لا يصحّ أن يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري، لأن مفهوم ما أنا قلت أنّه مقول للغير، ومنطوق ولا غيري كونه غير مقول للغير، فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً. وإذا لم يسبق المسند إليه نفي كان تقديمه محتملا لتخصيص الحكم به أو تقويته، إذا كان المسند فعلا، نحو: أنتَ لا تبخل، ونحو: هو يهبُ الألوف، فأنَّ فيه الإسناد مرتين، إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب: في المثال الأول، وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب: في المثال الثاني.

تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه إن اقتضى المقامُ تقديم المسند، ولا نلتمس دواعي للتقديم والتأخير إلا إذا كان الاستعمال يبيح كليهما.

المسند وأحواله

المُسند: هو الخبر، والفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النَّواسخ، والمصدر النائب عن الفعل وأحواله، هي الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتقديم والتأخير، وغيرها.

أغراض ذكر المسند إليه (5)

- **كون ذكره هو الأصل ولا مُقتضى للعُدول عنه**
  نحو: العلم خيرٌ من المال
- **ضعف التّعويل على دلالة القرينة**
  نحو حالي مستقيم ورزقي ميسور، إذ لو حُذف ميسور لا يدلُّ عليه المذكور.
- **ضعف تنبه السّامع**
  نحو (أصلُها ثابتٌ وفرعُها ثابتٌ) إذ لو حُذف ثابت رُبما لا يتنبَّه السامع لضعف فهمه.
- **الرَّد على المخاطب**
  نحو: (قل يُحييها الذي أنشأها أوّل مرَّة) جواباً لقوله تعالى (من يُحيي العظام وهي رميمٌ) ؟
- **إفادة أنه «فعلٌ» فيفيد التجدد والحدوث، ومقيَّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار، أو كإفادة أنه اسم فيفيد الثبوتَ مطلقاً**
  نحو: (يُخادعون الله وهو خادعهم) ، فإن (يخادعون) تفيد التجدد مرَّة بعد أخرى، مقيداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدل عليه، كذكر (الآن - أو الغد) . وقوله (وهو خادعهم) تفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان.

أغراض حذف المسند (4)

- **الاحتراز عن العبث**
  نحو (إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه - أي: ورسوله بريءٌ منهم أيضاً. فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة إليه.
- **اتّباع ومجاراة ما جاء في استعمالاتهم الواردة عن العرب**
  نحو: لولا أنتم لكنا مؤمنين) أي: لولا أنتم موجودون، وقولهم في المثل: رمية من غير رامٍ أي هذه رمية.
- **ضيق المقام عن إطالة الكلام**
  نحو: نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأيُ مختلف
  أي: نحن بما عندنا راضُون - فحذف لضيق المقام»

إذا دلت عليه قرينة وتعلّق بتركه غرض ممّا مرَ في حذف المسند إليه. والقرينة إمّا أن تكون:

- **مذكورة**
  نحو: (ولئن سألتهم من خَلَق السَّموات وَالأرض ليقُولُنَّ الله) أي: خلقهنَّ الله.
- **مقدّرة**
  نحو: (يُسَبّحُ لهُ فيها بالغدوّ والآصالِ رجالٌ) أي: يسبحهُ رجالٌ - كأنَّه قيل: من يُسبّحُه؟

يُعرَّف المسند لأمور:

- **إفادة السامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر، مثله**
  نحو هذا الخطيب، وذاك نقيب الأشراف.
- **إفادة قصره على المسند إليه حقيقة**
  نحو: سعد الزعيم، إذا لم يكن زعيم سواه، أو ادعاءً، مبالغة لكمال معناه في المسند إليه، نحو: سعدٌ الوطني أي الكامل الوطنية، فيخرج الكلام في صورة توهم أن الوطنية لم توجد إلا فيه، لعدم الاعتداد بوطنية غيره. وذلك: إذا كان المسند معرفاً بلام الجنس.

ينكَّرُ المسند لأمور:

- **قصد إرادة العهد أو الحصر**
  نحو: أنت أميرٌ، وهو وزير
- **اتباع المسند إليه في التنكير**
  نحو: تلميذ واقف بالباب
- **إفادة التفخيم**
  نحو: هُدًى للمتقين
- **قصد التحقير**
  نحو: ما خالد رجلا يُذكر

تقسيم المسند من حيث الأفراد

المسند المفرد

فعل
نحو: قدم سعدٌ

اسم
نحو سعدٌ قادم

المسند الجملة
إما أن تكون:

سببيا
نحو: خليل أبوه مُنتصر أو أبوه انتصر أو انتصر أبوه.

مقصودا بتخصيص الحكم بالمسند إليه
نحو أنا سَعيت في حاجتك أي السّاعي فيها أنا لا غيري.

مقصودا لتأكيد الحكم
نحو: سعد حضر. وذلك: لما في الجملة: من تكرار الاسناد مرّتين.

يقدّم المسند
إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً، نحو: قام علي، أو ممّا له الصدارة في الكلام، نحو: أين الطريق؟ أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية (7):

التّخصيص بالمسند إليه
نحو: (لله مُلكُ السموات والأرض)

التنبيه من أوّل الأمر على أنه خبرٌ لا نعتٌ
نحو: له هممٌ لا مُنتهى لكبارها *** وهمَّته الصغرى أجلُ من الدّهر

التشويق للمتأخر إذا كان في المتقدِّم ما يُشوِّق لذكره
كتقديم المسند في قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)

إفادة قصر المسند إليه على المسند
نحو: (لكم دينكم ولي دين) «أي - دينكم مقصورٌ عليكم، وَديني مقصور عليَّ».

المساءة نكاية بالمُخاطب
نحو: ومن نكد الدنيا على الحُرّ أن يرى عدُوّا له ما من صداقته بُدُّ

التفاؤل
كما تقول للمريض في عافية أنتَ

تعجيل المسرّة للمخاطب، أو التعجّب، أو التّعظيم، أو المدح، أو الذم، أو الترحم، أو الدعاء
نحو: لله درّك، وعظيمٌ أنت يا الله. ونعم الزعيم سعدٌ، وبئس الرجل خليل، وفقير أبوك، ومبارك وصولك بالسلامة.

ويؤتى بالمسند: ظرفا للاختصار، نحو خليل عندك، وجاراً ومجروراً نحو: محمود في المدرسة

أغراض التقييد بالنّعت (7)

الذّم
نحو: (وأمرأتهُ حمَّالة الحطب)

الترحم
نحو: قدم زيد المسكينُ

تخصيص المنعوت بصفة تُميزه إن كان نكرة
نحو: جاءني رجل تاجر.

توضيح المنعوت إذا كان معرفة لغرض.

الكشف عن حقيقته
نحو: الجسم الطويل، العريض، يُشغل حيزاً من الفراغ.

التأكيد
نحو: تلك عشرة كاملة، وأمس الدابُر كان يوماً عظيماً

المدح
نحو: حضر سعد المنصور

الإطلاق والتقييد
إذا اقتصر في الجملة على ذكر جُزأيها؛ المسند إليه والمسند، فالحكم مطلقٌ، وذلك حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن. وإذا زيدَ عليهما شيء ممّا يتعلق بهما أو بأحدهما، فالحكم مقيد، وذلك: حيث يُراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم، كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا، فتكون فائدته أتّم وأكمل، ولو حُذف القيد لكان الكلام كذباً أو غير مقصود، نحو قوله تعالى: (وما خَلَقنَا السَّموات والأرضَ وما بينهُما لاعِبين) . فلو حُذف الحال وهو لاعبين، لكان الكلام كذباً، بدليل المشاهدة والواقع.
واعلم: أن معرفة خواص التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، وباهر الصّنع، ولطائف المزايا، يسترعى لُبك، إلى أن التقييد بأحد الأنواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم، كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.
والتقييد: يكون، بالتَّوابع، وضمير الفصل والنَّواسخ وأدوات الشرط والنفي والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز. وفي هذا الباب جملة مباحث.

أغراض التَّقييد بالتوكيد (4)

مُجرّد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السّامع
نحو جاء الأمير الأميرُ.

التقرير مع دفع توهّم خلاف الظاهر
نحو: جاءني الأمِيرُ نفسه.

التقرير مع دفع توهم عدم الشمول
نحو: (فَسَجدَ الملائكةُ كُلهم أجمَعون)

إرادة انتقاش معناه في ذهن السّامع
نحو: (أُسكن أنتَ وَزَوجكَ الجنَّةَ)

أغراض التقييد بعطف البيان

مجرَّد التَّوضيح للمتبوع باسم مُختصّ به
نحو أقسم بالله أبو حفص عُمر.

المدح
نحو: (جَعَلَ اللهُ الكعبَةَ البيتَ الحَرامَ قِياماً للناس) فالبيت الحرامَ، عطف بيان للمدح.

أغراض التَّقييد بعطف النَّسَق (6)

تفصيل المسند إليه باختصار
نحو: جاء سعد وسعيد، فانه أخصر من: جاء سعد، وجاء سعيد، ولا يُعلم منه تفصيلُ المسند لأن الواوَ لمطلق الجمع.

ردّ السامع إلى الصواب مع الاختصار
نحو: جاء نصر - لا منصور - أو لكن منصور.

الشكّ من المتُكلم أو التَّشكيك للسّامع، أو للإبهام
نحو: (وإنا أو إياكم لعلى هُدىً أو في ضلالٍ مُبين)

صرف الحكم إلى آخر
نحو ما جاء منصور، بل نصر.

الإباحة أو التّخيير
نحو: تعلّم نحواً أو صرفاً، ونحو: تزوج هنداً أو أختها.

تفصيل المسند مع الاختصار أيضاً
نحو: جاء نصرٌ فمنصورٌ أو ثم منصور، أو جاء الأميرُ حتى الجُند، لأنّ هذه الأحرف الثلاثة مشتركة في تفصيل المسند، إلا أنّ الأول يفيد الترتيب مع التعقيب، والثاني يفيد الترتيب مع التراخي، والثالث يفيد ترتيب أجزاء ما قبله، ذاهباً من الأقوى إلى الأضعف أو بالعكس، نحو: مات الناس حتّى الأنبياء.

التَّقييد بالبدل

أمَّا البدل، فيؤتى به للمقاصد والأغراض التي يَدُلّ عليها، ويكون: لزيادة التقرير والإيضاح، لأن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام، نحو: حضر ابني عليّ في بدل الكل، ونحو: سافر الجندُ أغلبُه في بدل البعض، ونحو: نفعني الأستاذ علمُه في بدل الاشتمال، ونحو: وجهك بدرٌ شمسٌ في بدل الغَلَط. وذلك: لإفادة المبالغة التي يقتضيها الحال.

التقييد بالنّواسخ

التقييد بها يكون للأغراض التي تؤدّيها معاني ألفاظ النّواسخ، وهي (11):

الاستمرار أو لحكاية الحال الماضية
في كان

التوقيت بزمن مُعين
في ظلّ، وبات، وأصبح، وأمسى، وأضحى.

المُقاربة
في كاد، وكرب، وأوشك

التأكيد
في إن وأنّ

التّشبيه
في كأنَّ

الاستدراك
في لكن

الرَّجاء
في لعلَّ

التمنّي
في ليت

التَّحول
في اتخذ، وجعل وصيَّر

اليقين
في وجد، وألفى، ودَرى، وعلم

الظنّ
في خالَ وزعِم وحسِب

أغراض التقييد بضمير الفصل

التخصيص
نحو: (ألم يعلموا أن الله هو يقبلُ التَوبةَ عن عبادِهِ)

تأكيد التَّخصيص إذا كان في التركيب مُخصِّصٌ آخرُ
نحو: (إن اللهَ هو التواب الرحيم)

تمييز الخبر عن الصفة
نحو: العالِم هو العاملُ بعلمه

التّقييد بالشرط

يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط، وهي:

الزمان
في متى وأيّان

المكان
في أين، وأنَّى، وحينما

الحال
في كيفما

الفرق بين إن - وإذا – ولو

وإنما يفرّق هنا بين إن وإذا ولو، لاختصاصها بمزايا تُعد من وجوه البلاغة

إن

الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشَّرط في المستقبل مع «إن»، ومن ثم كثر أن تستعمل «إن» في الأحوال التي يندُر وقوعها، ووجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه.

إذا

تُستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطعُ المتكلمُ بوقوعه في المستقبل. ومن أجل هذا لا تُستعمل «إذا» إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي، لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً، كقوله تعالى: (فإذا جاءتهمُ الحسنةُ قالوا لنا هذه، وإن تُصبهم سيئةٌ يطيَّروا بموسى ومنْ معهُ)، فلكون مجيء الحسنة منه تعالى مُحقَّقاً ذكر هو والماضي مع إذا، وإنما كان ما ذُكر محققاً، لأن المراد بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خَصب، ورخاء، وكثرة أولاد، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسية في لفظة الحسنة. ولكون مجيء السَّيئة نادراً، ذكر هو والمضارع مع أن. وإنما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوعٌ قليل، وهو جدب وبلاء كما يُفهم من التّنكير في لفظ سيئة الدال على التقليل.

لو

للشرط في الماضي مع الجزم والقطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء على معنى أنّ الجزاء كان يمكن أن يقع، لو وجد الشرط. ويجب كون جملتيها فعليتّين ماضيتين، نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك. وتسمى «لو» حرف امتناع لامتناع، كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا)، ونحو: (ولو شاءَ لهَداكم أجمعين) أي انتفت هدايته إيّاكم، بسبب انتفاء مشيئته لها.

قد تستعملُ «إن» في الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه لأغراض كثيرة، منها:

التجاهل

نحو: إن كُنتُ فعلتُ هذا فعن خطأ.

تنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه

كقولك للمتكبر توبيخاً له - إن كنتَ من تراب فلا تفتخر.

تغليب غير المُتَّصف بالشرط على المتَّصف به

كما إذا كان السفر قطعي الحصول لسعيد، غير قطعي لخليل، فتقول إن سافرتما كان كذا.

قد تستعمل (إذا) في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه لأغراض كثيرة، منها:

الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكا فيه، بل لا ينبغي ألاّ يكون مجزوماً به

نحو: إذا كثر المطر في هذا العام أخصب الناس.

تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به

نحو إذا لم تسافر كان كذا، وهلم جرًّا من عكس الأغراض التى سبقت.

لما كانت (إن) و (إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط في المستقبل، وجب أن يكون شرطُ وجزاء كل منهما جملةً فعلية استقبالية لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: (وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهلِ)، ونحو: والنَّفس راغبة إذا رغبَّتها وإذا تُرد إلى قليلٍ تَقنَعُ. ولا يُعدلُ عن استقبالية الجملة لفظاً، ومعنى إلى استقباليتها معنى فقط إلاَّ لدواع غالباً، منها:

أ- التفاؤل - نحو - إن عشتُ فعلتُ الخير.

ب- تخّيل إظهار غير الحاصل وهو الاستقبال في صورة الحاصل وهو الماضي - نحو - إن متُّ كان ميراثي للفقراء.

عُلم مما تقدم من كون «لو» للشَّرط في الماضي: لزومُ كون جملتي شرطها وجزائها فعليتّين ماضويتين وعدم ثبوتهما. وهذا هو مقتضى الظاهر، وقد يخرج الكلام على خلافه، فتُستعمل «لو» في المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ وذلك لأمور، منها:

أ- الإشارة إلَى أن المضارع الذي دخلت عليه يقصد استمرارهُ فيما مضى: وقتاً بعد وقت، وحصوله مرة بعد أخرى، كقوله تعالى: (لو يُطيعكم في كثيرٍ من الأمرِ لعنتُّم).

ب- تنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عمّن المُستقبلُ عنده في تحقق الوقوعِ، ولا تخلّف في أخباره: كقوله تعالى: (ولو تَرَى إذِ المجرمُونَ ناكسُوا رُؤسهم عندَ ربّهم).

التقييد بالنفي

التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص، ممّا تفيده أحرف النفي السبعة، وهي: لا، وما، ولات، وإن، ولن، ولم، ولمّا. وتفصيلها كالآتي:

(لا)
للنفي مطلقاً

(مَا، وإن، ولاَتَ)
لنفي الحال إن دخلت على المضارع

(لن)
لنفي الاستقبال

(لم - ولما)
لنفي المُضيّ إلا أنه (بلمّا) ينسحبُ إلى ما بعد زمن التكلم: ويختصّ بالمتوقّع. وعلى هذا، فلا يقال: ما يقم خليلٌ ثم قام، ولا: لمّا يجتمع النقيضان، كما يقال: لم يقم عليٌّ ثم قام ولم يجتمع الضدان. فلمّا في النفي تقابل (قد) في الإثبات، وحينئذ يكون منفيُّها قريباً من الحال، فلا يصح: لمّا يجيءُ خليل في العام الماضي.

التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييدُ بها يكون لبيان نوع الفعل، أو ما وقع عليه أو فيه، أو لأجله أو بمقارنته، ويقيد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها، ويقيَّد بالتمييز لبيان ما خفى من ذات أو نسبة، فتكون القيودُ هي محظ الفائدة والكلام بدونها كاذبٌ أو غير مقصود بالذات، كقوله تعالى: (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين)

أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت - وتقييدها إذا كانت مذكورة، أمّا إذا كانت محذوفة فتُفيد أغراضاً أخرى، منها(8):

التعميم باختصار
نحو: (والله يدعو إلى دار السلام) أي جميع عباده، لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم، ولو ذكر لفات غرض الاختصار المناسب لمقتضى الحال.

الاعتماد على تقدم ذكره
نحو: (يَمحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثبتُ) أي ويثبتُ ما يشاءُ.

طلب الاختصار
نحو (يغفرُ لمن يشاءُ) أي يغفر الذنوب.

استهجان التصريح به
نحو: (ما رأيتُ منه ولا رأى منِّي) أي العورة.

تعيُّن المفعول
نحو: رعت الماشية أي نباتاً.

البيانُ بعد الإبهام
كما في حذف مفعول فعل المشيئة، ونحوها إذا وقع ذلك الفعل شرطاً، فإنّ الجواب يدل عليه، ويبيِنُه بعد إبهامه، فيكون أوقع في النفس، ويقدر المفعول مصدرا من فعل الجواب، نحو: (فمن شاء فليؤمن) - أي فمن شاء الإيمان.

تنزيل المتعدِّي منزلة اللازم
لعدم تعلق الغرض بالمعمول، بل يجعل المفعول منسياً، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدّرا، كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا نحو: (هَلْ يستوي الذينَ يعلمون والذينَ لا يعلمون).

المحافظة على سجع أو وزن
نحو: (سيذكَّرُ من يخشى) إذ لو قيل: يخشى الله - لم يكن على سنن رؤوس الآي السابقة، وكقول المتنبي:

بناها فأعلى والقنا يقرع القَنا
ومَوجُ المناياَ حولها مُتلاطمُ

والأصل في العامل أن يقدَّم على المعمول، كما أن الأصل في المعمول أن تُقدَّم عمدته على فضلته فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل. أمّا بين الفعل والمفعول ونحوه: كالظرف، والجار والمجرور، فيختلف الترتيب - للأسباب الآتية:

أ- أمر معنوي - نحو: (وجَاءَ مِنْ أقصى المدينةِ رجلٌ يسعى) فلو أخِّر المجرور لتوُهمّ أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع لأنه صلةٌ لفعله.

ب- أمر لفظي - نحو: (ولقد جاءهُمُ من ربهم الهُدى) فلو قُدم الفاعل لاختلفت الفواصلُ، لأنها مبنية على الألف.

ت- الأهمية - نحو: قُتل الخارجيُّ فلانٌ.

تعريف القصر

القصر: لغة الحبس، قال الله تعالى: (حور مقصورات في الخيام)، واصطلاحاً: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. والشيء الأول: هو المقصور، والشيء الثاني: هو المقصور عليه. والطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بالطرق والأدوات الآتية، نحو: ما شوقي إلا شاعر، فمعناه تخصيص (شوقي بالشعر) وقصره عليه، ونفى صفة (الكتابة) عنه - (ردًّا على من ظن أنَّه شاعر: وكاتب) والذي دلَّ على هذا التخصيص هو النفي بكلمة (ما) المتقدمة، والاستثناء بكلمة (إلا) التي قبل الخبر. فما قبل «إلا» وهو «شوقي» يُسمى مقصوراً عليه، وما بعدها وهو (شاعر) يسمى مقصوراً - (وما - وإلاّ) طريق القصر وأدواته. ولو قلت (شوقي شاعرٌ) بدون (نفي واستثناء) ما فُهم هذا التخصيص ولهذا: يكون لكل قصر طرفان «مقصور، ومقصور عليه» ويُعرف (المقصور) بأنّه هو الذي يُؤلف مع (المقصور عليه) الجملة الأصلية في الكلام. ومن هذا تعلم أن القصر هو تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عن سواه بطريق من الطرق الآتية.

أسباب تقديم الفضلات على بعض

الأصالة في التقدم لفظاً
نحو: حسبت الهلال طالعاً، فانّ الهلال وإن كان مفعولاً في الحال، لكنه مبتدأ في الأصل.

الأصالة في التقدّم معنى
وذلك كالمفعول الأول في نحو: أعطى الأمير الوزير جائزة، فإن الوزير: وإن كان مفعولا بالنسبة إلى الأمير، لكنه فاعل في المعنى بالنسبة إلى الجائزة.

الإخلال في تأخيره
نحو: مررت راكباً بفلان - فلو أخرت الحال لتُوهّم أنها حال من المجرور، وهو خلاف الواقع، فإنها حال من الفاعل، والأصل في المفعول ذكره، ولا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها.

طرق القصر

النفي والاستثناء
نحو: ما شوقي إلا شاعر أو: ما شاعر إلاَّ شوقي.

إنّما
نحو: «إنّما يخشى الله من عباده العلماء».

العطف بلا - وبل – ولكن
نحو: الأرض متحركة لا ثابتة.

تقديم ما حقّه التأخير
نحو: إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين، أي: نخصك بالعبادة والاستعانة.

تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع

قصر حقيقي
هو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بألا يتعدَّاه إلى غيره أصلا، نحو: لا إله إلاَّ اللهُ.

قصر إضافي
هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر، فانك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مُسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه.

تنبيهات:

- المقصور عليه في «النفي والاستثناء» هو المذكور بعد أداة الاستثناء، نحو: وما توفيقي إلا بالله.
- المقصور عليه: مع (إنَّما) هو المذكور بعدها، ويكون مؤخرا في الجملة وجوباً، نحو: إنما الدنيا غُرور.
- المقصور عليه: مع (لا) العاطفة هو المذكور قبلها، والمُقابَل لما بعدها، نحو: الفخر بالعلم لا بالمال.
- المقصور عليه مع (بَلْ) أو (لكنْ) العاطفتين هو المذكور ما بعدهما، نحو: ما الفخر بالمال بل بالعلم ، ونحو: ما الفخر بالنسَّب لكن بالتقوى.
- المقصور عليه: في (تقديم ماحقُّه التأخير) هو المذكور المتقدّم نحو: على الله توكلنا.

ملاحظات

- يشترط في كلٍّ من «بل - ولكن» أن تُسبق بنفي أو نهي، وأن يكون المعطوف بهما مفرداً، وألاَّ تقترن (لكن) بالواو.
- يشترط في «لا» إفراد معطوفها، وان تُسبق بإثبات، وألاّ يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها.
- يكون للقصر (بإنما) مزيَّة على العطف، لأنها تفيد الإثبات للشيء، والنفي عن غيره دفعة واحدة، بخلاف العطف، فانه يفهم منه الإثبات أوّلا، ثم النفي ثانياً - أو عكسه.
- التقديم: يَدُلّ على القصر بطريق الذَّوق السليم، والفكر الصائب، بخلاف الثلاثة الباقية فتدل على القصر بالوضع اللغوي (الأدوات) .
- الأصلُ أن يتأخر المعمول عن عامله إلا لضرورة ومَن يتتبع أساليب البلغاء في تقديم ما حقُّه التأخير: يجد أنهم يريدون بذلك: التخصيص.

أغراض القصر

تمكين الكلام وتقريره في الذهن

نحو: وما المرء إلا كالهلال وضوئه *** يوافي تمام الشهر ثم يغيب

التعريض

نحو: (إنما يتذكر أولوا الألباب) إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له.

المبالغة في المعنى

نحو: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. و (ذو الفقار) لقب سيف الإمام علي (كرم الله وجهه) ، وسيف العاص بن منبه والقصر: قد ينحو فيه الأديب مناحي شيء، كان يتجه إلى القصر الإضافي، رغبة في المبالغة - كقوله: وما الدنيا سوى حلم لذيذ تنبهه تباشير الصباح.

تقسيم القصر الإضافي على حسب حال المخاطب

قصر إفراد

إذا اعتقد المخاطب الشركة، نحو: إنَّما الله إله واحدٌ رداً على من اعتقد أنَّ الله ثالث ثلاثةٍ.

قصر قَلب

إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي تثبته نحو: ما سافر إلا عليّ «رداً على من اعتقد ان المسافر خليل لا عليٌ» فقد قلبتَ وعكست عليه اعتقاده.

قصر تعيين

إذا كان المخاطب يتردّد في الحكم: كما إذا كان متردّدا في كون الأرض متحركةً أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة، ردا على من شكّ وتردد في ذلك الحُكم.

تقسيم القصر باعتبار طرفيه

قصر صفة على موصوف

هو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به، فلا يتَّصف بها غيره، وقد يتَّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات. ومثاله من الحقيقي (لا رازق إلا الله)، ومثاله من الإضافي، نحو: لا زعيم إلا سعد.

قصر موصوف على صفة

هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختصّ بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها. ومثاله من الحقيقي، نحو: ما الله إلا خالق كلّ شيءٍ، ومثاله من الإضافي، قوله تعالى (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يُضرَّ الله شيئا) .

وأعلم أنّ القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول، وبين الحال وصاحبها - وغير ذلك من المتعلقات، ولا يقعُ القصرُ مع المفعول معه. والقصر من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة، إذ أن جملة القصر في مقام جملتين، فقولك (ما كامل إلا الله) تعادل قولك: الكمال لله، وليس كاملا غيره. وأيضاً: القصرُ يحدد المعاني تحديداً كاملاً، ويكثر ذلك في المسائل العلمية وما يماثلها.

الوصل والفصل

تمهيد

العلمُ بمواقع الجمل، والوقوف على ما ينبغي أن يُصنع فيها من العطف والاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعب المسلك، لا يُوفّق للصواب فيه إلاّ من أوتى قسطاً موفوراً من البلاغة، وطبع على إدراك محاسنها، ورُزق حظا من المعرفة في ذوق الكلام، وذلك لغموض هذا الباب، ودقة مسلكه، وَعظيم خطره. وكثير فائدته: يدل لهذا، أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد سئل عنها بعض البُلغاء، فقال: هي معرفة الفصل والوصل.

تعريف الوصل والفصل في حدود البلاغة

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى. فالجملة الثانية: تأتي في الأساليب البليغة مفصولة أحياناً وموصولة أحياناً، فمن الفصل قوله تعالى: «ولا تستوي الحسنة ولا السيئةُ إدفع بالتي هي أحسنُ» فجملة (ادفع) مفصولة عمّا قبلها، ولو قيل: وادفع بالتي هي أحسن، لما كان بليغاً. ومن الوصل قوله تعالى: «يأيُها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» عطف جملة: وكونوا على ما قبلها. ولو قلت: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً. فكلّ من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغيَّة. ومن هذا يُعلم أنّ الوصل جمع وربط بين جُملتين بالواو خاصة، لصلة بينهما في الصورة والمعنى أو لدفع اللَّبس. والفصل: ترك الربط بين الجُملتين، إمَّا لأنهما مُتحدتان صورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمَّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى.

بلاغة الوصل

وبلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط، دون بقية حروف العطف، لأن الواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم ودِقة في الإدراك؛ إذ لا تفيد إلاَّ مُجردَ الربط، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل، وقُم واسعَ في الخير. بخلاف العطف بغير الواو، فيفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب مع التعقيب في (الفاء)، وكالترتيب مع التراخي في (ثُمَّ)، وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف ب(الواو) أن يكون بين الجملتين جامع كالموافقة، في نحو: يقرأ ويكتبُ، وكالمُضادّة في نحو: يضحك ويبكي. وإنما كانت المضادّة في حكم المُوافقة، لأنَّ الذّهن يتصورّ أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر على الباب عند ذكر الجهل، كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة. والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعاً، فلا يقال: خليل قادم والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند إليهما، كما لا يقال: سعيد عالم وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين. وفي هذا الباب مبحثان.

إجمال مواضع الوصل

الوصلُ: عطف جملة على أخرى بالواو، ويقع في ثلاثة مواضع، وهي:

إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط، ولم يكن هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما، وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى

فمثال الخبريتين قوله تعالى: إنَّ الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم. ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: (فادعُ واستقم كما أمرت) وقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) ، وصل جملة «ولا تشركوا» بجملة «واعبدوا» لاتحادهما في الإنشاء، ولأن المطلوب بهما مما يجبُ على الإنسان أن يؤدِّيه لخالقه، ويختصَّه به. فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب في أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة) وبواجب (الشباب) في طلبها، والانتفاع بها. ومثال المختلفين قوله تعالى: (إني أشهدُ اللهَ، واشهدوا أنى بريءٌ ممّا تشركون) أي إني اشهدُ اللهَ وأشهدُكُم، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية إنشائية لفظاً، ولكنّها خبرية في المعنى. ونحو: اذهب إلى فلان، وتقول له كذا، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً، ولكنها إنشائية معنى أي: وقل له. فالاختلاف في اللفظ لا في المعنى المعُول عليه، ولهذا وجب الوصل وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب.

دفع توهم غير المراد، وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهم خلاف المقصود

كما تقول مجيباً لشخص بالنفي: لا - شفاه الله، لمن يسألك: هل برء عليٌّ من المرض؟ فترك الواو يُوهم السَّامع الدُّعاء عليه، وهو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له. ولهذا وجب أيضاً الوصل وعطف الجملة الثانية الدُعائية الإنشائية على الجملة الأولى الخبرية المصوَّرة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكل من الجملتين لا محل له من الإعراب.

إذا كان للجملة الأولى محلٌ من الإعراب وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانعَ

نحو: عليّ يقول ويفعل.

مجمل مواضع الفصل (5)

«كمال الاتصال»
هو أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تام وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد.

«كمال الانقطاع»
هو أن يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ: بدون إبهام خلاف المراد.

«شبه كمال الاتصال»
هو أن يكون بين الجملتين رابطة قوية.

«شبه كمال الانقطاع»
هو أن يكون بين الجملة الأولى والثاني جملةٌ أخرى ثالثة متوسطة حائلة بينهما. فلو عُطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على «المتوسطة» فُيترك العطف.

«التوسط بين الكمالين»
هو أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع: وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم.

أحياناً تتقاربُ الجُملُ في معناها تقارباً تاما، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجملة الأولى، وقد تنقطع الصِّلة بينهما، وذلك لأمرين، وهما:

أ- اختلافهما في الصورة، كأن تكون إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية.

ب- تباعد معناهما، بحيث لا يكون بين المعنيين مُناسبة، وفي هذه الأحوال يجب الفصلُ في كل موضع من المواضع الخمسة.

الإطناب

ويُستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر، والمدح، والثناء، والذّم والهجاء، والوعظ، والإرشاد، والخطابة في أمر من الأمور العامة، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة، وكتب الولاة إلى الملوك لإخبارهم بما يحدث لديهم من مَهام الأمور.

وهناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول في الشيء المستبعد: رأيته بعيني، وسمعته بأذني، وذقته بفمي، تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره. وكقوله تعالى: (فخرّ عليهم السَّقفُ من فوقهم) والسقف لا يخر طبعاً إلا من فوق، ولكنه دلّ بقوله: (من فوقهم) على الإحاطة والشمول.

واعلم: أن الأطناب أرجحُ عند بعضهم من الإيجاز، وحُجَته في ذلك أن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والإشباع لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينُه، وأبينُه أشده إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة، إلا بالاستقصاء والإطناب. والمختار أن الحاجة إلى كل من الإطناب والإيجاز ماسة، وكل موضع لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه، وللذوق السليم القول الفصل في موطن كلٍ منهما.

التَّذْييلُ قسمان، وهما:

a) قسمٌ يستقلُّ بمعناه، لجريانه مجرى المثل لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله، كقول طرفةَ:
كلُّ خليل قد كنت خاللته *** لا ترك الله له واضحه
كلّكم أروغُ من ثعلب *** ما أشبه الليلة بالبارحة

b) قسمٌ لا يستقل بمعناه، لعدم جريانه مجرى المثل، لعدم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بافادة المعنى المراد، كقول النّابغة:
لم يُبق جُودك لي شيئاً أؤمّلهُ *** تركتني أصحب الدنيا بلا أملِ

فالشطر الثاني: مؤكد للأول، وليس مستقلا عنه، فلم يجر مجرى المثل.

تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

1«كمال الاتصال»
هو اتحادُ الجملتين اتحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً، بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلةَ نفسها. وصورها كالآتي:

- **أن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى**
  نحو: (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين).
- **أن تكون الجملة الثانية بيانا لإبهام في الجملة الأولى**
  نحو: (فَوَسوسَ إليه الشيطانُ قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) فجملة (قال يا آدم): بيان لما وسوس به الشيطان إليه.
- **أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى بما يشبه أن يكون توكيدا لفظياً أو معنوياً**
  نحو: (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)، وكقوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا) فالمانع من العطف في هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشيء على نفسه

2«كمال الانقطاع»
هو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً.
وصورها كالآتي:

- **أن يختلفا خبراً وإنشاء لفظاً ومعناً، أو معنى فقط**
  نحو: حضر الأمير حفظه الله، ونحو: تكلم إني مصغ إليك.
- **ألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه**
  نحو: عليّ كاتب - الحمام طائر، فأنه لا مناسبة بين كتابة عليّ وطيران الحمام. فالمانع من العطف في هذا الموضع «أمر ذاتي» لا يمكن دفعه أصلا وهو التباين بين الجملتين، ولهذا وجب الفصل، وترك العطف، لأنَّ العطف يكون للربط، ولا ربط بين جملتين في شدَّة التباعد وكمال الانقطاع.

3«شبه كمال الاتصال»
هو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتُفصلُ عنها، كما يفصل الجواب عن السؤال، كقوله تعالى: (وما أبرئُ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء)

4«شبه كمال الانقطاع»
هو أن تُسبق جملة بجملتين يصحُ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيُترك العطف بالمرَّة، دفعاً لتوهّم أنه معطوف على الثانية، نحو:
وتظُن سلمى أنَّني أبغى بها *** بدلاً أراها في الضلال تَهيمُ
فجملة «أُراها» يصحّ عطفها على جملة «تظنُ» لكن يمنع من هذا توهّم العطف على جملة «أبغي بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى مع أنه غير المقصود، ولهذا امتنع العطف بتاتاً ووجب أيضاً الفصل. والمانع من العطف في هذا الموضع «أمر خارجي احتمالي» يمكن دفعه بمعونة قرينة» - ومن هذا: وممّا سبق، يُفهم الفرق بين كل من «كمال الانقطاع - وشبه كمال الانقطاع»

5«التَّوسط بين الكمالين مع قيام المانع»
هو كون الجملتين مُتناسبتين: وبينهما رابطة قوية، لكن يمنع من العطف مانع، وهو عدم قصد التشريك في الحُكم، كقوله تعالى: (وَاذا خَلَوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معَكم إنّما نحنُ مُستهزئون الله يستهزىء بهم». فجملة «الله يستهزىء بهم» لا يصح عطفها على جملة إنّا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين: والحال أنه من مقولة تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا» لئلا يُتوهم مشاركته له في التقييد بالظرف - وأن استهزاء الله بهم مقيد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم. والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيد بحال من الأحوال، ولهذا وجب أيضاً الفصل.

تنبيه:
لمّا كانت الحال تجيء جملة، وقد تقترن بالواو وقد لا تقترن، فأشبهت الوصل والفصل، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبتها، نحو: جاء فؤاد والشمس طالعة. ويجب فصلها في ثلاثة مواضع:

أ- إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلا» أو وقع ذلك الماضي قبل «أو» التي للتسوية، نحو: ما تكلّم فؤاد إلا قال خيراً.
ب- إذا كان فعلها مضارعا مُثبتاً أو منفياً «بما أو لا»، نحو: (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) ونحو: (وَما لنا لا نؤمن بالله).
ت- إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها، كقوله تعالى: (فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون) وكقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)

علم مما تقدّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية، ولابد مع اتفاقهما من جهة بها يتجاذبان، وأمر جامع به يتآخذان، وذلك الجامع إما عقلي أو وهمي أو خيالي.

طرق التعبير عن المعاني

«الإيجاز»
هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: (خذ العفو وأمرُ بالعرف وأعرض عن الجاهلين). فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها، وكقوله تعالى: (ألا لهُ الخلقُ والأمر)، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إنّما الأعمال بالنِّيات»، فإذا لم تف العبارة بالغرض سمى إخلالا وحذفاً رديئا،

«الإطناب»
وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده، نحو: (رب إني وهنَ العظم مني واشتعل الرأس شيبا) أي كبرتُ فإذا لم تكن في الزيادة فائدة، يسمى تطويلا، إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة. ويسمى حشواً إن كانت الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى. وكل من الحشو والتطويل معيبٌ في البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

«المساواة»
هي تأديةُ المعنى المراد بعبارة مساوية له، بأن تكون الألفاظ على قدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض. ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة، فإنها هي الأصل المقيس عليه، والدستور الذي يُعتمد عليه، كقوله تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) ، وكقوله تعالى: (كل امرىء بما كسب رهين)، وكقوله تعالى: (من كفر فعليه كُفره) ، وكقوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)، فإن اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه. هذه أمثلة للمساواة، لا يستغنى الكلام فيها عن لفظ منه، ولو حُذف منه شيء لأخلّ بمعناه.

إيجاز حذف
هو أن يكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، عند وجود ما يدل على المحذوف، من قرينة لفظية أو معنوية. وذلك المحذوف إما أن يكون (12):

إيجاز قصرٍ/ إيجاز البلاغة
هو أن يكون بتضمين المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة) ، فان معناه كثير، ولفظه يسير، إذ المراد بأن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتل امتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة غيره، لأن القتل أنفى للقتل وبذلك تطول الأعمار، وتكثر الذرية، ويقبل كل واحد على ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العمران. فالقصاص هو سبب ابتعاد الناس عن القتل، فهو الحافظ للحياة. وهذا القسم مطمح نظر البلغاء، وبه تتفاوت أقدارهم، حتى أن بعضهم سُئل عن (البلاغة) فقال: هي «إيجاز القصر» وقال أكثم بن صيفي خطيب العرب «البلاغة الإيجاز».

حرفاً
نحو: (ولم أكُ بغياً) أصله ولم أكن.

اسماً مضافاً
نحو: (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي في سبيل الله.

اسما مضافاً إليه
نحو: (وَوَاعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) أي بعشر ليال.

اسما موصوفاً
نحو: (ومن تاب وعمل صالحاً) أي عملا صالحاً.

اسما صفة
نحو: (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) أي مضافا إلى رجسهم.

شرطاً
نحو: (اتبعوني يحببكم الله) أي فان تتبعوني.

جواب شرط
نحو: (ولو ترى إذ وقفوا على النار) أي لرأيت أمراً فظيعاً.

مسنداً
نحو: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) أى: خلقهن الله.

مسنداً إليه
نحو: أماوى ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

مُتعلقا
نحو: (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) أي عمّا يفعلون.

جملة
نحو: (كان الناسُ امةً واحدة فبعث الله النبيين) أي فاختلفوا فبعث.

جمَلا
نحو: (فأرسلون يوسف أيها الصديقُ) أي فأرسلوني إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، وقال له: يوسف.

<u>دواعي الإيجاز</u>
واعلم أنّ دواعي الإيجاز كثيرة، منها؛ الاختصار، وتسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السَّامع، والضجر، والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير وغير ذلك. ويُستحسن الإيجاز في الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات، والتعزية، والعتاب، والوعد، والوعيد، والتوبيخ، ورسائل طلب الخراج، وجباية الأموال، ورسائل الملوك في أوقات الحرب إلى الولاة والأوامر، والنواهي الملكية، والشكر على النعم. ومرجعك في إدراك أسرار البلاغة إلى الذوق الأدبي والإحساس الروحي.

أنواع الإطناب (10)

1. ذكر الخاص بعد العام
نحو: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى). وفائدته التنبيه على مزية وفضلٍ في الخاص، حتى كأنه لفضله ورفعته جزءٌ آخرُ مغايرٌ لما قبله، ولهذا خص الصلاة الوسطى وهي العصر بالذكر لزيادة فضلها.

2. ذكر العام بعد الخاص
نحو: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات). وفائدته شمول بقية الأفراد، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً في عنوان عام، بعد ذكره أولا في عنوان خاص.

3. الإيضاح بعد الإبهام
لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والأجمال، ومرّة على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك نبلا وشرفاً
نحو: (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوعٌ مصبحين) فقوله (أن دابر هؤلاء) تفسير وتوضيح لذلك (الأمر) المبهم، وفائدته توجيه الذهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبين، وتمكينه فى النفس فأبهم فى كلمة (الأمر) ثم وضحه بعد ذلك تهويلا لأمر العذاب.

4. التكرير
هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر، لأغراض كثيرة، منها (9):

5. التوشيع
هو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر بمفردين ليُرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس. نحو: العلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان.

6. الاعتراض لغرض يقصده المتكلم
هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متَّصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب، وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ غيرَ دَفع الإيهام، ومنها (6):

التأكيد وتقرير المعنى في النفس
نحو: (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)، وكقوله تعالى: (فإنَّ مع العُسر يُسراً إن مع العُسر يُسراً).

طول الفصل، لئلا يجيء مبتوراً ليس له طلاوة
نحو: «يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين»، فكّرر (رأيت) لطول الفصل.

قصد الاستيعاب
نحو: قرأت الكتاب باباً باباً، وفهمته كلمة كلمة.

زيادة الترغيب في العفو
نحو: (إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم، وإن تعفو وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم).

الترغيب في قبول النصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب
نحو: (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار). ففي تكرير(يا قوم) تعطيف لقلوبهم، حتى لا يشكوا في إخلاصه لهم في نصحه.

التنويه بشأن المخاطب
نحو: إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إبراهيم.

الترديد
هو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولا، نحو: السخي قريب من الله، قريبٌ من الناس، قريب من الجنة. والبخيل بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، بعيدٌ من الجنة.

التلذذ بذكره
نحو: سقى الله نجداً والسلام على نجد *** ويا حبذا نجد على القُرب والبعد

الإرشاد إلى الطريقة المثلى
نحو: (أولى لك فأولى ثمّ أولى لك فأولى)

الدعاء
نحو: إني «حفظك الله» مريضٌ

التنبيه على فضيلة العلم
نحو: واعلم فعلمُ المرء ينفعُه *** أن سوف يأتي كل ما قُدرا

التّنزيه
نحو: (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون).

زيادة التأكيد
نحو: (وَوَصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولولديكَ إلىَّ المصير).

الاستعطاف
نحو: وخفوقِ قلب لو رأيت لهيبه *** يا جنّتى لرأيت فيه جهنَّما

التهويل
نحو: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم)

7. الإيغال
هو ختم الكلام بما يُفيد نُكتة، يتم المعنى بدونها كالمبالغة في: (والله يرزق من يشاء بغير حساب)

8. الاحتراس/التكميل
هو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع ذلك الوهم. فالاحتراس: يوجد حينما يأتي المتكلم بمعنى، يمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك: ويأتي بما يخلّصه، سواء أوقع الاحتراس في وسط الكلام، أو في آخره، نحو: (ويُعمون الطعام على حبه أي: مع حب الطعام: واشتهائهم له، وذلك أبلغ في الكرم، فلفظ على حبه فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين في المعنى.

9. التذييلُ
هو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلّة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى أو لمفهومها، نحو قوله تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)

10. التَّتميم
هو زيادةُ فضلة كمفعول أو حال أو تمييز أو جار ومجرور، توجد في المعنى حُسنا، بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلا.
نحو: صَببنا عليها (ظالمين) سيأطنا *** فطارت بها أيد سراعٌ وأرجلُ
إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مُبتذلا، لا رقة فيه ولا طلاوة وتوهَّم أنها بليدة تستحق الضرب.